إستراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي

خطبة مسجد كتشاوة أنموذجاً

الدكتور: بوزوادة حبيب

جامعة معسكر- الجزائر

يمثّل الحجاج الركن الأساس لفن الخطابة، بسبب حاجة هذه الأخيرة لمختلف الأدوات التي تمكّنها من التأثير في المتلقي وتغيير قناعاته، وهو ما نلمس أثره بوضوح في خطبة الشيخ الإبراهيمي التي ألقاها في مسجد كتشاوة، حيث استخدم ترسانة من الآليات الحجاجية، معتمدا على ذخيرة لغوية وثقافية هائلة، سمحت بتنويع المنظومة الحجاجية عبر ثلاثة أسس؛ الأساس الاستشهادي، والأساس الأسلوبي، والأساس المنطقي. وقد تفرّع كلّ واحد منها إلى بنيات حجاجية أصغر، سمحت في النهاية ببناء شبكة حجاجية قوية، ومترابطة، ومنسجمة، تجمع بين الإقناع والإمتاع.

Résumé:

L'Argumentation a toujours représenté une pierre angulaire dans l'art oratoire, en raison de la nécessité pour ce dernier de ses divers outils qui lui permettent d'influencer le récepteur et modifier ses convictions. On peut remarquer clairement l'impact de l'argumentation dans le discours du Cheikh al Bachir al IBRAHIMI à la mosquée KetchaouaaALGER . Discours dans lequel il a utilisé un arsenal de mécanismes argumentaires puisant sa multiplicité du riche répertoire linguistique et culturel qui a permis de diversifier le système d'argumentation par la voie de trois bases : une base de citation, une base stylistique, et une base logique. Chacune de ses trois bases s'est ramifié en petites structures permettant ainsi de construire un solide réseau d'argumentation fort, cohérent et combinant en même temps conviction et plaisir.

ترتبط الخطابة بالحجاج ارتباطاً وثيقاً، بسبب حاجة الخطباء الماسّة إلى مادة إقناعية يستميلون بها جمهورهم، ويغيّرون بواسطتها أفكارَه ومشاعرَه ومعتقداتِه، وعلى ضوء ذلك فرّق الباحثون في مجال نظرية الأدب بين الخطابة والشعرية بدءًا من أرسطو الذي يعتبر الإقناع جوهر العملية الخطابية، والتخييل جوهر العملية الشعرية رفقة المحاكاة[1]، وانتهاءً بأحدث الدراسات في هذا المجال كالبلاغة الجديدة والتداولية وغيرهما، وسأجتهد في أوّل هذه الورقة في أن أضع الإطار المنهجي للخطابة

(Discours) والحجاج (Argumentation) بوصفهما المفهومين الأساسيين الذين يتألّف منهما عنوان البحث.

أولا- الخطابة: الخطابة من أقدم الفنون الأدبية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، وعرفتها الإنسانية قبل ذلك بكثير، فقد انتبه إلى أهميتها فلاسفة اليونان، فألّف أرسطو كتابه الخطابة، مركّزا على "صناعة الخطابة باعتبارها حجاجاً إقناعيا الهدف منه استرجاع الحقوق المسلوبة بواسطة اللغة، بهدف إنقاذ الخطابة من أزمتها الشكلية التي تردّت فيها مع السوفسطائيين"[2].

وفي الثقافة العربية مثّلت الخطابة حاجة اجتماعية ودينية وسياسية وحتى عسكرية، لجأ إليها العربي "في الحرب كما في السلم، إذ الزعامة والقيادة لا تؤخذ بالسلاح فقط، ولا بالمال فقط، وإنّما قد تدرك بالكلمة السّاحرة وحدها، حتى قيل: أنفذُ من الرّميةِ كلمةٌ فصيحة"[3]، وعلى هذا الأساس اعتُبرت الخطابة ميداناً تبرز فيه قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وذلك لما تتميّز به من فعالية تداولية وحجاجية، يستغلها الخطيب لإثارة سامعيه، واستنهاض هممهم وتحريك عواطفهم. والخطابة لا تكتسب قوّتها الإقناعية من نظامها اللغوي فحسب، ولكنّها منفتحة على عناصر خارجية تشترك في صياغة الحجة الدامغة، والبرهان القاطع، أهمّ هذه العناصر "منزلةُ الخطيب في نفوس سامعيه، وقوةُ عارضته، وسطوع حجته، ونبرات صوته، وحسن إلقائه، ومحكم إشاراته"[4]، ولذلك اعتبر أرسطو أنّ حجاجية النص الخطابي تتحقّق من خلال أمرين[5]:

-الأوّل هو الانفعالات التي يثيرها الخطيب عند الجمهور، أو ما يسمّيه الباتوس Pathos).

-الثاني هو الصورة التي يكوّنها الخطيب عن نفسه، وهو ما أسماه الإيتوس Ethos).

ويشكّل المخاطَب ثالث أضلاع المثلّث الخطابي إلى جانب الخطيب والنص، فهو "يمثّل ركنًا في سيرورة الفعل الحجاجي، وبالتالي فالحجاج لا معنى له إلاّ باستحضار المخاطَب"[6]، لأنّ الخطبة ذات طابع مسرحي تمثيلي، يتم تأديتها أمام جمهور يتابعها بصورة مباشرة، يتفاعل معها أثناء زمن التكلّم تفاعلا يسمح بإنتاج الدلالات الخطابية، لأنّ هذه الدلالات ليست مادة معجمية خالصة، "وإنّما تنشأ وتتكاثر وتتقلّب وتتعرّف من خلال العلاقة التخاطبية، متّجهة شيئاً فشيئاً إلى تحصيل الاتفاق عليها بين المتكلّم ونظيره المخاطب"[7].

ثانيا- الحجاج: يعني الحِجاجُ في اللغةِ الغلبةَ بالحجج، قال ابن منظور: حاجتُه أحاجّه حِجَاجًا ومُحاجةً حتى حججتُه، أي: غلبتُه بالحجج التي أدليت بها .. وحاجه محاجة وحجاجاً: نازعه الحُجة.. والحجة: الدّليل والبرهان.. وبهذا المعنى يدلّ الحجاج على النزاع والخصام بوساطة الأدلة والبراهين والحجج[8]. والملاحظ من خلال هذا التعريف أنّ ابن منظور يربط بين الحجاج والجدل ولا يكاد يفرّق بينهما، فالجَدَلُ عنده هو "مقابلة الحجة بالحجة"، ويؤكّد هذا بقوله "هو رجلٌ محجاجٌ أي جَدِلٌ"[9]، ويمكننا أن نلاحظ هذا التداخل عند السيوطي أيضاً عندما تحدّث عن حجاج القرآن وبراهينه تحت عنوان (في جدل القرآن)[10].

أمّا في الثقافة الغربية فأُخذت كلمة حجة (Argument) من الفعل اللاتيني (Arguere)، وتعني جعل الشيء واضحًا ولامعاً وظاهراً، وهي بدورها من جذر إغريقي αργηs (argues) ويعني أبيض لامعاً[11]. وقد تناول أرسطو الحجاج (Argumentation) بوصفه آلية خطابية تهدف إلى إقناع المستمعين، ضمن أطر البلاغة الكلاسيكية، ليتطوّر هذا المفهوم على يد الفيلسوف البلجيكي شارل بيرلمان (Ch.Perelman) سنة 1958 الذي اعتبر الحجاج الركيزة الأساس للبلاغة الجديدة (La Nouvelle Rhétorique)، رافضاً اعتبار الوظيفة الجمالية هدفاً وحيداً للأساليب البلاغية، التي "قد تمارس فعالية برهانية [حجاجية] لِما تثيره من إعجاب أو بهجة أو هدوء أو إثارة"[12].

والحجاج لدى بيرلمان يهدف إلى "دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للقروض التي تقدّم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوّع كثافته"[13]، وذلك عبر "ترسانة من الأساليب والأدوات يتمّ اقتراضها من البلاغة، ومن غيرها كالمنطق واللغة العادية"[14]، بما يعطي للرسالة قوتها التأثيرية في المخاطبين، وتدفعهم إلى القبول بالرأي المعروض عليهم والإذعان له.

ويتحدّد الحجاج عند بيرلمان ببعض الملامح الأساسية، حصرها في التالي[15]:

1- أن يتوجّه إلى مستمع.

2- أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية.

3- أنّ مسلّماته لا تعدو كونها احتمالية.

4- ألاّ يفتقر تقدّمه وتناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- أن تكون نتائجه غير ملزمة.

فعالية الحِجَاج في الخطبة الإبراهيمية: يعتبر البشير الإبراهيمي واحداً من القامات الأدبية الكبيرة التي شهدها الأدب العربي خلال القرن العشرين، فإنّه لغويٌّ وأديبٌ من الطراز العالي، تشهد له كتاباته ومقالاته الصحافية المختلفة، ينضاف إلى ذلك مهارة خطابية نادرة، يصفه عبد الله الركيبي فيقول: "قد ملك ناصية القول، واستوعب البيان العربي، وتبحّر في اللغة العربية وآدابها، وامتاز بالقدرة على توليد الكلام، وامتاز بالموهبة الأدبية وعُرِفَ بالارتجال، ولكن خطبه لم يبق منها إلاّ القليل.. فلو اكتشفت كلّ آثاره في هذا الميدان، واطّلع عليها الباحثون، فربّما تغيّرت النظرة نحو الخطابة الأدبية في الجزائر"[16].

وتُعتبَر خطبته التي ألقاها في مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة بُعَيْد الاستقلال[17]، من عيون الأدب الجزائري، فهي بالإضافة إلى وظيفتها الدينية، تحمل همّوما وطنية وقومية وإنسانية في مجالات السياسة والمجتمع والثقافة والهوية.. تصوغ كلّ ذلك بأسلوب أدبي؛ يشق طريقه إلى عقول المخاطبين ووجدانهم، بواسطة بنية حجاجية متكاملة ومتنوّعة. فتقدّم الخطبة هيكلها الحجاجي بالاستناد إلى شبكة من الحجج والبراهين المنطقية والأسلوبية معا، في سبيل تقوية النص الخطابي، وتقديمه إلى الجمهور في صورةِ أرضيةٍ مشتركةٍ، وخارطةِ مستقبلٍ للجزائر المنشودة، من خلال إستراتيجية حجاجية تقوم على ثلاثة أسس محورية؛ الأساس الاستشهادي، والأساس الأسلوبي، والأساس المنطقي.

أوّلا- حجاجية الاستشهاد: الاستشهادات روافد نصوصية تغذي الخطبة، وتضيف إليها قوة إقناعية لم تكن لتتمتّع بها من دونها، وهي تعني "نقلَ أقوالٍ مكتوبةٍ أو شفويةٍ صادرةٍ عن متكلّمٍ آخرَ غير الذي يستشهد، وذلك بأكثر أمانة ممكنة، أو على الأقل بإعطاء انطباع من الدّقة من أجل إحداث تأثيرٍ تصديقي في الحِجَاج"[18]، والشواهد ليست نصوصا لغوية فقط، ولكنها تعني أيضاً "وقائع ومعطيات وأموراً دقيقة وأرقاماً وتفاصيل، وذلك لتدعيم حجة، مثلما يُقال: استشهد بوقائع، واستشهد بأرقام، واستشهد بأسماء.."[19].

وعلى هذا الأساس يمكننا الحديث عن البنى الاستشهادية التالية في خطبة البشير الإبراهيمي:

1-الشاهد القرآني: يعتبر القرآن الكريم كتاباً مركزيًّا في حياة المسلمين، فهو كلام الله ووحيه، لذلك يمثّل الاحتجاج به إضافةً مهمّةً لأي خطاب بشري، وقد تضمّنت خطبة الإبراهيمي عددا من الاقتباساتِ القرآنيةِ دعمًا للحجة، وتقويةً للتوجيهات التي تضمّنتها، والآيات المقتبسة هي:

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهُ﴾(البقرة/ 114)، - ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إِلاّ اللهَ﴾(التوبة / 18)، - ﴿وَعَدَ اللهُ الذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِيْ الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِيْ شَيْئًا﴾(النور/ 55)

كما تضمّنت الخطبة آيات على سبيل الاقتباس غير المباشر، بحذف جزءٍ منها كي ينسجم تركيبيا مع النص، فقد وردت الآية التالية: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُم الجَنَّةَ يُقَاتِلُون في سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾(التوبة/ 111)، بتحوير طفيف في أولها: "واشترى من المؤمنين..."، وورد قولُه تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿فَأَعِيْنُونِي بِقُوَّةٍ﴾(الكهف/ 95) موظّفا في سياق الدعوة لمؤازرة حكومة الاستقلال بعبارة "فأعينوها بقوة"، وحثّ الخطيب الجزائريين على التعاون والائتلاف بقوله: "جعلكم متعاونين على البرّ والتقوى، غير متعاونين على الإثم والعدوان"، مستلهما من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ﴾(المائدة/ 02).

2-الشاهد النبوي: للحديث النبوي قوة حجاجية مهمّة، تساعد الخطيب على تمرير رسالته بيسر، وبثقةٍ في حسنِ تلقيها من الجمهور المستعد للامتثال والرضوخ لأحاديث نبيّه صلى الله عليه وسلّم، كما في هذا الحديث: "**إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم ولكنّه رضي أن يُطاع فيما دون ذلك**"[20]، وذلك في سياق عقد مماثلة بين الشيطان والاستعمار، فإذا استحال الشرك أن يعود إلى مكّة كذلك يستحيل أن يعود الاستعمار إلى الجزائر بعد خروجه منها، إلاّ إذا اتخذ صوراً خفية كاللغة والمصالح الاقتصادية وغيرها، كالشيطان تماما الذي رضي أن يطاع فيما دون الشرك!!

3-**الشاهد الشعري**: تمثّل الشواهد الشعرية بنية تعضيدية تسهم في الرفع من إقناعية الخطبة، وذلك لأنّها تحيل على مخزون ثقافي وجمالي له أثره الواضح على المتلقي، "فهي تعلو الكلام العادي درجة، ممّا يجعلها ترقى في السّلم الحجاجي إلى ما هو أرفع"[21]، ومن هذا القبيل نجد هذه الكوة الشعرية المنفتحة على البهاء والجمال والتغني بحب الأوطان في جدار الخطبة:

أُحَيِّيْكَ يَا مَغْنَى الجَمَالِ بِوَاجِبٍ وَأُنْفِقُ فِي أَوْصَافِكَ الغُرِّ أَوْقَاتِي

4- **الاستشهاد بالمثل**: تتجلّى القوة الإقناعية للمثل في قدرته على صوغ المعاني الكثيرة في أقل قدرٍ من الألفاظ، نتيجة لارتباط المثل دائماً بظروف إنتاجه (المورد) الحاضرة في كلّ توظيف جديد، كما في قول الإبراهيمي معبّرا عن عودة مسجد كتشاوة إلى دوره الطبيعي بعد أن حوّله الاستعمار إلى كنيسة: "**هذه بضاعتكم ردّت إليكم**"، مستحضرا المثل الشهير (**هذه بضاعتنا ردّت إلينا**) الذي أطلقه الصاحب بن عباد.

ثانيا- الحجاج الأسلوبي: تقوم اللغة في مستواها المحايد على قواعد معيارية ثابتة تضبط بنية الجملة، غير أنّ الاستعمال الأسلوبي يتيح خيارات أخرى لا تتوافق بالضرورة مع النظام المعياري القواعدي، وهو ما جعل صلاح فضل يعتبر الأسلوب "هو العدوان على نظام اللغة"[22]، بسبب ما يقدّمه من البدائل غير النمطية، وفق حاجات المتكلّم، ومقامات التخاطب، وهو ما يوفّر طاقات دلالية إضافية، تهدف إلى مباغتة القارئ، وشدّه نحو قيمة ما، "فالإجراء الأسلوبي يتمّ بطريقة تجعل القارئ ليس في حلٍّ من أن يمرّ عليه مرَّ الكرام"[23]، وهذا ما يحقّق حجاجية المستوى الأسلوبي وجاذبيته. وفي خطبة الإبراهيمي طرائق حجاجية عديدة لها طابعها الأسلوبي، يمكن الإشارة إلى بعضها على سبيل الانتقاء فيما يأتي:

1-**إستراتيجية التبئير**: يطلق أحمد المتوكّل هذا المصطلح على المؤكّدات ذات الطابع التركيبي، حيث يهدف المتكلّم إلى تقديم بنية لغوية عالية التركيز، لتكون أكثر جاذبية وأقوى على استثارة القارئ والاستحواذ على اهتمامه، لأنّ وظيفة البؤرة (Focus) هي تحديد العنصر الأكثر أهمية في الجملة، عبر آليات القصر، والتخصيص، والتقديم والتأخير، والتكرار[24]:

أ-أسلوب القصر: القصر في اللغة (الحبس)، وفي الاصطلاح هو "تخصيص شيءٍ بشيءٍ بوسيلة معيّنة"[25]، بهدف التقليل من دائرة الاحتمال، ووضع المخاطب أمام حقيقة واحدة لا بديل له عن تبنيها والاقتناع بها، وقد ورد في خطبة الإبراهيمي بطريقين:

الأولى- النفي والاستثناء: في ثلاث مرات هي: **"لا نملك إلاّ الحوقلة والاسترجاع"**، **"لا تعاملوه إلاّ فيما اضطررتم إليه"**، **"لا تندمل إلا بعد عشرات السنين"**.

الثانية- العطف: عن طريق حرف الإضراب (بل)، وورد مرتين في عبارة واحدة: "وهذا المسجدُ هو حصة الإسلام من مغانمِ جهادِكم (بل) هو وديعة التاريخ في ذمكم... (بل) هذا بيت التوحيد".

ب-التخصيص باسم الإشارة: يمثّل التخصيص شكلاً من أشكال التبئير الخطابي، تحدّث عنه النحويون في باب الاسم المنصوب بإضمار الفعل (أخصّ) أو (أعني)، لكنّ المشتغلين بعلم النص أصبحوا يتحدّثون عن تخصيص بأدوات أخرى، منها اسم الإشارة[26]، وهو النوع الأكثر هيمنة وورودا في خطبة الإبراهيمي، فقد تردّد ثمانيَ وعشرين مرة، في سبيل تخصيص الدلالة وحصرها في مشار إليه واحد، وهو ما يقضي على كلّ معنى محتمل غير ما تقتضيه الإحالة[27]، بما يرفع من الكفاءة الحجاجية للنص الخطابي، ومن أمثلة ذلك:

"**هذا** هو اليوم الأزهرُ الأنورُ، **وهذا** هو اليوم الأغرُّ المُحَجَّلُ، **وهذا** هو اليومُ المشهودُ في تاريخكم الإسلامي **بهذا** الشِّمالِ، **وهذا** هو الغرَّةُ اللائحةُ في وجه ثورتكم المباركة، **وهذا** هو التَّاجُ المتألِّقُ في مفرقها.."، ومنه أيضاً: "إنّ **هذه** المواكبَ الحاشدةَ بكم من رجالٍ ونساءٍ يغمرُها الفرحُ، ويطفحُ على وجوهها البِشْرُ؛ لتجسيمٌ **لذلك** المعنى الجليل.."

ج-تقديم ما حقّه التأخير: يفسّرُ علماء اللغة ظاهرة التقديم والتأخير في بنية الجملة العربية تفسيراً بلاغياً تداولياً فيربطونها بغاياتِ المتكلّمِ ومقاصدِه، يقول سيبويه: "كأنّهم يقدّمون الذي بيانه أهمّ، وهم بشأنه أَعْنَى، وإنْ كانا جميعاً يُهِمَّانِهم ويَعْنِيَانِهم"[28]، لأنّ العدولُ عن الترتيب المتعارف عليه يهدف إلى إعادة ترتيب الأولويات في ذهن المتلقي عبر تغيير موقعية البؤرة، ولهذا كانت ظاهرة

(التقديم والتأخير) ذات وظيفة حجاجية، يقوم من خلالها المتكلّم بتحديد نقاط الارتكاز والأهمية، كما في تقديم المسند على المسند إليه في التراكيب التالية:

- "لأنّ في الإنسان عرقاً نزّاعاً إلى الحيوانية". - "أنّ لهم الجنةَ". - ".. كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال".

فتقديم الخبر -ههنا- له وظيفة حجاجية تهدف إلى تخصيصه بالحكم، وقصر المعنى عليه.

د-التكرار: يعتبر التّكرار من وسائل الترابط المعجمي بسبب إسهامه في تحقيق التماسك على مستوى البنية النصية، أمّا من الناحية الحجاجية فإنّه طريقة من طرق الإلحاح على المخاطَب، عبر تبئير بنية لغوية معيّنة والتركيز عليها، قصد تثبيت فكرة ما، أو تفنيد رأيٍ معيّن، نلمس ذلك في الخطبة حينما يقول الإبراهيمي: "**بيت التوحيد عاد إلى التوحيد، وعاد إليه التوحيد، فالتقيتم جميعًا على قدر**" أو حينما يقول داعياً: "**وفّقكم الله جميعاً، وأجرى الخير على أيديكم جميعاً، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على محبّة الوطن**".

2-المؤكدات الأداتية[29]:

المؤكدات الأداتية في أي نشاط لغوي ترتقي بالوظيفة الإقناعية، وتضيف قوة برهانية إلى القول، "يلجأ إليها المتكلّم حيث يكون قصدُه دعم خطابه أو أحد مكوّنات خطابه بما يكفل دفعَ شكِّ المخاطب أو تردّدِه أو إنكارِه"[30]، ولهذا قسّم البلاغيون الخبر إلى ثلاثة أضرب؛ **ابتدائي** خالٍ من التأكيد، وطلبي يحوي مؤكّداً واحدا، وإنكاري يحوي أكثر من مؤكّد[31]، تبعاً لأحوال المخاطبين، وظروفِ التخاطب.. وخطبةُ الإبراهيمي تحفل بالأخبار المؤكّدة، أذكر منها التالي:

أ-الأخبار المؤكدة بأداة واحدة:

الخبر	أداة التوكيد
الحمد لله ثمّ الحمد لله..	تكرار الحمد لله.
جعل النصر يتنزّل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبتليهم	حروف الزيادة
أنتج المتضادات	حروف الزيادة
إنّكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه..	إنّ
إنّ الاستعمار كالشيطان	إنّ
قدّمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدّمه شعب.	زيادة حرف الجر (مِنْ)
وفقكم الله جميعا، وأجرى الخير على أيديكم جميعا	تكرار

ب-الأخبار المؤكّدة بأداتين:

الخبر	أداتا التوكيد
إنّ هذه المواكب.. لتجسيمٌ لذلك المعنى الجليل	إنّ + اللام المزحلقة
لقد كنا نمرّ على هذه الساحة مطرقين	اللام + قد
..لأنّ البغي ممّا ركّب في غرائزه	اللام + أنّ
هذا المسجدُ هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم..	اسمية الجملة + ضمير الشأن (هو)

ج-الأخبار المؤكّدة بثلاث أدوات:

الخبر	أدوات التوكيد
أما ووالله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده...	أما + القسم + أنّ

3-**حجاجية البنى الإفرادية**: تكتسب بعض الصيغ الصرفية قوة معنوية تؤهّلها للتعبير عن المعنى بفاعلية أكبر، فتضيف ظلالاً وإيحاءات للقول، مثلما نلمس ذلك في صيغة المبالغة واسم التفضيل، اللذين يتضمّنان معاني متعالية على الأصل، وهو ما يمنح للبنية الإفرادية وظيفتها الحجاجية، فتفرض سلطتها على المتلقي، وتضعه في مواجهة المعنى الوحيد، كما نلمس بعض ذلك في

جمع الكثرة، عندما يتحوّل المعيار العددي إلى وسيلة حجاجية لها دوره التأثير على المتلقي، مثلما نلاحظ ذلك في الصيغ التالية:

أ-**اسم التفضيل**: وحجاجيته تظهر في دفع المتلقي إلى الانحياز لـ(أ) على حساب (ب)، عبر إغوائه بإظهار تفوّق (أ) على (ب) في الصفة التي يشتركان فيها، مثاله حديث الإبراهيمي عن يوم استعادة السيادة على الأرض والمقدّسات: "**إذا عُدَّت الأيام.. فسيكون هذا اليوم (أوضحها) سمة، و(أطولها) غرة، و(أثبتها) تمجيدا..**"، فالإبراهيمي يجعل يوم استرجاع الكرامة الأفضل لما تميّز به من مواصفات تعالى بها عن غيره من الأيام.

ب-صيغة المبالغة: وقد وردت على أربعة أوزان وهي:

1-زنة مِفعال: "**الغيث (المدرار)**"

2-زنة فعّال: "**لأنّ في الإنسان عِرْقًا (نزّاعًا) إلى الحيوانية، وشيطاناً (نزّاغًا) بالظلم، وطبعاً من الجِبِلَّةِ الأولى (ميّالاً) إلى الشّر**"

3-زنة فَعيل: "**إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم .. لتجسيدٌ لذلك المعنى (الجليل)، وتعبير (فصيح) عنه**"

4-زِنة فَعول: "**إنّه هو (الغفور)..**"

ج-**جمع الكثرة**[32]: يعتبر جمع الكثرة أسلوبا من أساليب الحجاج الكمّي الذي يعتمد على الغلبة العددية، ما يؤدي في المقابل إلى ترجيح ذهني لدى المتلقي، تحصل بموجبه عملية تأثير وتوجيه غير مباشرة لوعي الجمهور ومزاجه العام، وهذه طائفة من الأمثلة التي تعكس هذا الطرح:

جمع الكثرة	زنته
المسجد عاد إلى (الرُّكع)	فُعَل
في (نفوس) المؤمنين	فُعُول
قد يبغي الوحش على (الوحوش)	
لم تسترجعوا من هذا المسجد (شقوقه)	
الثورة تركت (ندوباً)	
لم يخرج من (قلوب) بعضكم	
استرجعتم (دُروس) العلم	
جمعض (قلوبكم) على المحبة	
البغي رُكّب في (غرائزه)	فعائل
استرجعتم.. (وظائفه)	
نحيي بالعمار و(الثمار)	فِعال
الإيمان.. أتى بـ(العجائب) و(خوارق) العادات	فعائل + فواعل
إذا.. عُدّت (الغُرَرُ) والشّيات	فُعَل
يصهر (الجوانح)	فواعل
تكلّمت (البنادق)	فَعالِل
عشرات الآلاف من (اليتامى) و(الأيامى)	فَعَالى
لا تقطعوا أوقاتكم في (السفاسف) و(الصغائر)	فَعَالِل + فَعَائِل

4-بلاغة الصورة: ليست الصورة متعة شكلية فحسب، ولا زخرفاً فنيا عارضاً، ولكنّها أداة إقناع، وقناة اتصال، وهي ذات سلطة حجاجية كبرى، تظهر "في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به"[33]، فتتحوّل الرسالة اللغوية من نشاط كلامي إلى فعلٍ إنجازي، والصورة إلى فعلٍ أو انفعال.. كما يظهر في الصور الإبراهيمية التالية:

أ-الصورة التشبيهية: للتشبيه وظيفة تأثيرية تحدّثت عنها كتب البلاغة، يكفي أن نذكر منها عبارة الجرجاني عن تشبيه التمثيل: "وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانُه أبهر"[34]، فالشبيه أو المماثل إنما يؤتى به لزيادة التوضيح، وإقامة الحجة على المخاطب، ومن ذلك قوله محذّرا: "إنّكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم به فرحة الصبيان ساعةً ثمّ تنقضي.."، في تنبيه قويّ وتحذير شديد من الوقوع في الاحتفالية وتناسي الأبعاد السامية التي يمثّلها المسجد، على طريقة الصبيان القاصرين. "إن الاستعمار كالشيطان.."

ب-الاستعارة: الاستعارة تشبيهٌ مختصر، ولهذا كانت المبالغة فيها أعظم، وأثرُها في النفوس أبلغ، "وذلك لأنّ المخاطِب لا يلجأ إلى استعمالها إلاّ لوثوقه في أنّها أبلغ من الحقيقة حجاجيا"[35]، فاحتلت مساحة لافتة في الخطبة مثل: "تكلّمت البنادق"، "المواكب الحاشدة يغمرُها الفرح، ويطفح على وجوهها البشر".

ج-المجازالمرسل:"الاستعمار لم يخرج من ألسنتكم"، يقصد من كلامكم،معبّراً عنه بآلته وهي اللسان.

د-المجاز العقلي: "لو أن الاستعمار الغاشم أعاد المسجد إليكم" يقصد المستعمرين.

هـ-الكناية: فكنّى عن المساجد بعبارة "بيت التوحيد"، وعن المذلة والهوان زمنَ الاحتلال بقوله: "كنا نمرّ على هذه الساحة مطرقين..".

5-حجاجية البديع: يرفض بيرلمان النظر إلى البلاغة بوصفها "فن الكلام والكتابة الجيدين"[36]، معتبرا هذه الرؤية قاصرة، لأنّها تفصل بين الشكل والمضمون، لأنّ بعض الأشكال التعبيرية قد تحمل إيقاعاً جماليا وخواصّ شكلية معيّنة، ومع ذلك "قد تمارس فعالية برهانية [حجاجية] لِما تثيره من إعجاب أو بهجة أو هدوء أو إثارة"[37]، وهو ما تجسّد في الخطبة التي نجد فيها لوحات بديعية ذات بعد وظيفي إقناعي، ومن أمثلة ذلك:

أ-المقابلة: جاء توظيفها في الخطبة للمقارنة مع من سخط الله عليهم: "تجلّى على بعض عباده بالغضب والسخط فأحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلى برحمته ورضاه على آخرين فأحال فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد، وما ظلم الأولين، ولا حابى الآخرين

ولكنّها سنته في الكون، وآياته في الآفاق، يتبعها قومٌ فيفلحون، ويعرض عنها قومٌ فيخسرون"، كما وظّفها في هذه البنية الدُّعائية: "جعلكم [اللهُ] متعاونين على البرّ والتّقوى، غير متعاونين على الإثمِ والعدوان". فإقناعية المقابلة تنشأ من ثنائيتها الضدية التي تحصر الخيارات في محورين؛ محور الخير ومحور الشر، وحينئذ لا يجد المتلقي بدًّا من الانحياز إلى محور الخير، المعزّز بجملة من القيم والفضائل النبيلة.

ب-المذهب الكلامي: وهو ذو وظيفة حجاجية كما جزم بذلك أهل البلاغة، يقول أحمد الهاشمي: "هو أن يورد المتكلّم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلّمة عند المخاطَب، بأن تكون من المقدّمات بعد تسليمها مستلزِمَةً للمطلوب"[38]، ومثاله قول الإبراهيمي عن عودة مسجد كتشاوة لوظيفته: "**لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفواً من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال**"، على طريقة المتكلّمين في المقايسة والاستلزام، بواسطة (لو) الامتناعية.

ج-الجمع مع التقسيم: وهو جمعُ متعدّدٍ تحت حكمٍ، ثمّ تقسيمُه، أو العكس[39]، لأنّ الخطيب يطرح دعواه جملة، ثمّ يعود إليها بالمناقشة والتفصيل إذا كانت ذات أجزاء، ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكلّ جزءٍ منها بمثابة دليل على دعواه، مثل: "**أنتج من المتضادات أضدادها؛ فأخرج القوة من الضعف، وولّد الحرية من العبودية، وجعل الموت طريقًا إلى الحياة**"، ومنها قوله: "**إنّ الثورة تركت في جسم أمّتكم ندوباً لا تندملُ إلاّ بعد عشرات السنين**" ثمّ فصّل هذا الإجمال بالقول: "**تركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوّهين، الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل**".

6-فحوى الخطاب: وهو مصطلح أصولي يدلّ على شمول الحكم للأعلى بمجرّد التنبيه على الأدنى، أو العكس[40]، ومثاله "**نعوذ بالله ونبرأ إليه من كلّ داعٍ يدعو إلى الفرقة والخلاف**"، فإذا كان الخطاب يحذر من مجرّد الدعوة باللسان إلى الفرقة، فإنّ التحذير ممّا هو أخطر أولى، كالتنازع والصراع والتقاتل والحرب الأهلية ونحوها، فالخطيب يحاجج جمهوره بالصغائر لئلا يقعوا في العظائم.

7-**حسن الابتداء ومسك الختام**: لأوّل الكلام وآخرِه أهميةٌ حجاجية كبرى، فهما يتمتّعان بقدرة على استمالة المتلقي، ودفعه ليبقى على اتصال مع موضوع الخطبة، ولو بعد زمن من سماعها، وقد أدرك ابن رشيق هذه الأبعاد التداولية فقال: "**حسنُ الافتتاح داعيةُ الانشراح، ومظنّة النجاح..** وخاتمة الكلام أبقى في السّمع، وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها"[41]، وهي رؤية متقدّمة لوظيفية البدايات والنهايات في الخطاب الأدبي لا يمكن تجاهلها.

وقد اتّسمت خطبة الإبراهيمي بفاتحةٍ تُنبئ بالسعادة، وتطفح بالبِشْر، وتعكس مرحلةً هي أسعدُ مراحل الجزائر في العصر الحديث على الإطلاق، من خلال تحقيق إنجازها الأعظم ممثّلا في استرجاع السيادة الوطنية، ولهذا جاءت بهذه الصورة اللاهجة بالحمد والثناء على الله الذي أيّد المظلومين بنصره: "**الحمد لله ثم الحمد لله، تعالت أسماؤه، وتمّت كلماته صدقاً وعدلا، لا مبدّل لكلماته، جعل النصر يتنزّل من عنده على من يشاء من عباده، حيث يبتليهم فيعلم المصلح من المفسد، ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم، وصفاء سرائرهم، وطهارة ضمائرهم..**"

فالمقدّمة رغم اصطباغها بما هو ديني وروحي إلاّ أنها مرتبطة بِراهِنِها، تحاكي الواقع وتشاكله، وهو أدعى للجمهور كي يندمج مع كلمات الخطبة ويكون أكثر تركيزاً واقتناعاً بمضمونها، وحينئذ تتحقّق أولى وظائف النص الخطابي ممثلةً في استقطاب المتلقي، وضمان تحوّله من مجرّد (مستمع) إلى (شريك) في العلاقة التخاطبية، التي يتمّ على ضوئها التحاجّ والتحاور والبرهان، خصوصاً أنّ المقدّمة تضمّنت إيحاءات عن موضوعها عبر مجموعة من القرائن (Les Indices)، وهو ما تسمّيه البلاغة العربية **براعة الاستهلال**.

أمّا الخاتمة فإنّها تكتسب أهميتها من موقعها ضمن نسيج الخطبة، فهي "آخر ما يبقى في الأسماع، وربّما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به"[42]، وبالتالي تفرض على الخطيب أن يُضمِّنها زبدة كلامه، وعصارة أفكاره، وهذا ما فعله الإبراهيمي حينما جعل الخاتمة في ثلاثة أقسام:

أولاً: توصية للجزائريين بالوحدة والائتلاف في هيئة دعاء.

ثانيا: بشرى قرآنية بالتمكين وبالنصر.

ثالثا: استغفار.

فقال: "وفّقكم الله جميعاً، وأجرى الخير على أيديكم جميعاً، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبّة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البرّ والتقوى، غير متعاونين على الإثم والعدوان. ﴿وَعَدَ اللهُ الذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِيْ الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِيْ شَيْئًا﴾ أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وهو الغفور الرحيم"

ثالثاً-البنية المنطقية: من الناحية المنطقية تمثل الخطبة نصًّا استدلاليًا، لأنّ عناصرها مقترنة بعلاقات استدلالية[43]، تخضع لهندسة منطقية تدرّجية، وفق مبادئ السببية والعلية والقياس الصوري حيث لا مجال للمصادفة في عرض الأفكار وبسط الحقائق..

فيمكننا أن نلاحظ ببساطة حضور قانون السببية بين السبب والمسبب في هذه البنية الدُّعائية: "**وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة، أُلفةً تجمعُ الشّمل، ووحدةً تبعث القوة، ورحمةً تضمدُ الجراح، وتعاوناً يثمرُ المنفعة، وإخلاصاً يهوِّنُ العسير، وتوفيقاً ينيرُ السبيل، وتسديداً يقوِّم الرأي ويثبّت الأقدام.. وعزيمةً تقطع دابر الاستعمار من النفوس**"، فجميع القيم الواردة في هذه البنية (الألفة، الوحدة، الرحمة، التعاون، الإخلاص، التوفيق، التسديد، العزيمة) أسبابٌ يُرجى من ورائها تحقّق منافع أكبر، وهو ما يغري الجمهور الحاضر بالاستماع والانسجام والتناغم مع هذه الدعوة والتأمين عليها.

كما يمثّل القياس إحدى الأدوات المهمّة في هندسة البنية المنطقية، عبر التمهيد بالمقدّمات الصحيحة في سبيل الوصول إلى النتيجة المنطقية المقنعة[44]، مثاله هذا القياس الشرطي: "**لو أنّ الاستعمار أعاد المسجد من غير تعب؛ لما كان اليوم بهذه الروعة**"، وهذا استدلال قياسي بعض عناصره مضمرة -وكأنّ الخطيب يراهن على ذكاء المتلقي، ليكون شريكاً في صناعة النص- وتمامُه: **لكنّه أعاده بعد تعب، إذن فهذا اليوم رائعٌ**، وإضمار بعض العناصر لا يفسد البنية القياسية إذا علمت أركانها، فقد تقرّر لدى المناطقة أنه "يجوز حذف بعض المقدّمات للعلم بها، وهكذا النتيجة"[45].

وتساعد الحجة البرهانية (Argument Démonstratif)[46] في الرفع من مصداقية الخطبة، بتقديمها إلى المتلقي في صورة الحقيقة الجازمة التي لا يمكن إنكارها، أو التردّد في قبولها، خصوصاً عندما تكون الحجة نتيجة فحص تجريبي لا يرقى إليه الشك، نحو "**قد يبغي الوحشُ على الوحوش فلا يكون ذلك غريباً، لأنّ البغي ممّا رُكِّب في غرائزه، وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيباً، لأنّ في الإنسان عرقًا نزّاعًا إلى الحيوانية، وشيطاناً نزّاغًا بالظلم**"، فالحكم بعدوانية الجنس الحيواني والجنس البشري نتاج برهنة علمية أثبتتها الدراسات في هذا المجال، وبالتالي تستحق أن تكون مقدّمة للاستنتاج التالي الذي لا تعضده دراسة ولا يقرّه دليل، لأنّ حالة شاذة بين الثقافات، وسلوك ينافي روحانية الأديان: "**لكن العجيب الغريب معاً، والمؤلم المحزن معاً، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمّد الذي بشّر به عيسى روح الله وكلمته**".

خاتمة: وفي الختام يمكن القول -بكلّ طمأنينة- أنّ الخطبة التي ألقاها البشير الإبراهيمي في مسجد كتشاوة تمثّل ترسانة من الحجج والبراهين الهادفة إلى إقناع المتلقي، واستمالته، والتأثير فيه سلوكيا وعقائديا، عبر الزيادة في درجة الإذعان لديه، ومحاصرة دائرة الاحتمال، عبر منظومة حجاجية متنوّعة، منها ما تعلّق بشخصية الإبراهيمي الخطيب ومكانته لدى الجمهور، ومنها ما تعلّق بالمرحلة الحسّاسة التي ألقيت فيها الخطبة، ما يحفزّ المتلقي على الانجذاب نحوها أكثر، والإصغاء إليها بكلّ قوة، ومنها ما تعلّق بالبنية الخطابية التي اتّكأت على جملة من المؤكدات الأسلوبية والتركيبية والمنطقية والدلالية، التي لا ندّعي أنّنا أحطنا بها كلّها في هذه العجالة، وإنّما وقفنا على أهمّها وأبرزها.

إنّ نجاح الخطبة في بناء شبكة حجاجية قوية، ومترابطة، ومنسجمة، عبر تحقيق أهم وظائف الخطاب الجماهيري وهو الإقناع، لم يكن ليمثّل عائقًا أمام جمالية الخطاب (Esthétique de Discours)، فاجتمع في المحصّلة الإقناع والإمتاع، لأنّ البراغماتية لا تتعارض مع الأدبية كما يقرر ذلك جورج مولينيه (Georges Molinié)[47]، وهو ما جعلنا أمام لوحة فنية متميّزة فنياً وأسلوبيا، مقنعة خطابيا وحجاجيا.

مراجع البحث وإحالاته:

1 أحمد قادم، شعرية الإقناع في الخطاب النقدي والبلاغي، المطبعة الوطنية الداوديات،المغرب، 2009، ط1، ص74.

2 عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م، ط1 ص19.

3 المرجع السابق ص77.

4 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2009م، ص33.

5 د.محمد العمري، البلاغة والحجاج، أو بلاغة الحجاج، عالم الفكر، العدد4، الكويت 2012، ص265.

6 رشيد الراضي، الحجاج والبرهان ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته (تأليف جماعي)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م (1/ 189).

7 د.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، 2010م، ط4، ص50.

8 ابن منظور، لسان العرب مادة (ح ج ج).

9 د.حافظ العلوي، مقدمة كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته (تأليف جماعي) (4/ 1).

10 السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصر، جمهورية مصر العربية، (د ت)، ص489.

11 د.حافظ العلوي، المرجع السابق (1/ 2).

12 د.صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1413هـ 1992م، ص78.

13 المرجع السابق ص74.

14 صابر الحباشة، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص، دار صفحات، دمشق، سورية، 2008م، ص50.

15 عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية ص31.

16 د.عبد الله الركيبي، تطوّر النثر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص29.

17 الخطبة ألقيت يوم الجمعة 2 نوفمبر 1962 بمسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة، وتقع في خمس صفحات ونصف، وهي مع مقالات وخطب أخرى للبشير الإبراهيمي في كتاب واحد عنوانه في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص257-262.

18 باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب تر د.أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009م، ص94.

19 المرجع السابق ص94.

20 مقتطف من الخطبة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلّم في حجة الوداع.

21 عبد الهادي الشهري، آليات الحجاج وأدواته (1/ 128)، ضمن كتاب الحجاج مفهومة ومجالاته (تأليف جماعي).

22 د.صلاح فضل، علم الأسلوب، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية 1988م، 1408هـ، ط3، ص241.

23 المرجع السابق ص248.

24 د.أحمد المتوكّل، الخطاب وخصائص اللغة العربية- دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1431هـ، 2010م، ط1، ص137.

25 القزويني، تلخيص المفتاح ، قراءة وتعليق د.ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م، ط1، ص93.

26 د.أحمد المتوكّل، الخطاب وخصائص اللغة العربية ص107.

27 "الإحالة علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب، إنّ في الواقع أو في المتخيّل أو في خطاب سابق/ لاحق" انظر د.أحمد المتوكّل، المرجع السابق ص73.

28 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص97.

29 يطلق أحمد المتوكّل على المؤكّدات الأداتية استراتيجية التقوية انظر كتابه الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1431هـ، 2010م، ط1، ص159 على سبيل المثال.

30 المرجع السابق ص133.

31 أشهر أدوات التوكيد، إنّ، وأنّ، ولامُ الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، والتكرار، وقد، وأمّا الشرطية، وإنّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي. انظر على سبيل المثال القزويني: تلخيص المفتاح ص50، وأحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ص42..

32 لـ(جمع التكسير) سبع وعشرون (27) صيغة، أربعٌ منها للقلة، والباقي للكثرة، فالقلة من ثلاثة إلى عشرة، أمّا الكثرة فإلى ما لانهاية، واختلفوا في مبدئها، فقيل يبدأ جمع الكثرة من ثلاثة، وقيل من أحد عشر. وجمع القلة لا يعتبر إلاّ في النكرات، أمّا معارفه فصالحة للقلّة والكثرة بحسب ضوابط ذكرها علماء التصريف، انظر الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، شرح د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1، ص131 وما بعدها.

33 د.جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، 1992م، ط3، ص328.

34 الجرجاني، أسرار البلاغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1428هـ، 2007م، ط1، ص88.

35 عبد الهادي الشهري، آليات الحجاج وأدواته (1/ 136)، ضمن كتاب الحجاج مفهومة ومجالاته (تأليف جماعي).

36 د.صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص78.

37 المرجع السابق ص78.

38 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص269.

39 القزويني، تلخيص المفتاح ص184.

40 يمثّل علماء الأصول لفحوى الخطاب بقوله تعالى:﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾(الإسراء: 23) تحريماً للأعلى بالنهي عن الأدنى.

41 ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط1، (1/ 224).

42 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص306.

43 حدُّ العلاقة الاستدلالية أنّها بنية تربط بين الصور المنطقية لعدد معيّن من جمل النص، د.طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص36.

44 "القياس عند المناطقة هو المركّب من قضايا يستلزم لذاته قولاً آخر" انظر الأخضري: شرح السلّم في علم المنطق، تحقيق د.عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م، ط1، ص112.

45 الأخضري، المرجع السابق ص123.

46 الحجة البرهانية أقوى الحجج العقلية، وتنقسم إلى: البديهيات، المشاهدات الباطنة، التجرّبيات، المتواترات، الحدسيات، المحسوسات، والحجة التي أردها الإبراهيمي تنتمي إلى التجرّبيات الخاصة التي تعرف عن طريق الخواص كالأطباء ونحوهم، أمّا التجرّبيات العامة فلا تحتاج إلى كفاءة خاصة كعلم العامة بأنّ الخمر مسكر، انظر الأخضري، شرح السلّم في علم المنطق ص138.

47 جورج مولينيه، الأسلوبية تر د.بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ، 2006م، ط2، ص160.